حقيقة
رأي الكوفيين في النقص والتمام في الأفعال

الدكتور
فاضل صالح السامرائي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

ذكر جماعة من النحاة أن الكوفيين يختلفون في نظرتهم الى «كان واخواتها» عن البصريين فهذه الأفعال عند البصريين ترفع المبتدأ ويسمى اسمها وتنصب الخبر ويسمى خبرها أما الكوفيون ، فيرون أن المنصوب بها حال لاخبر(١) ، وعند الفراء هو شبيه بالحال(٢) .

وأما المرفوع ، فانما هو مرفوع بما كان مرفوعا به قبل دخولها. جاء في (التصريح) : «وذهب جمهور الكوفيين الى أنها لاتعمل في المرفوع شيئا وانما هو مرفوع بما كان مرفوعا به قبل دخولها . وخالفهم الفراء، فذهب الى أنها عملت فيه الرفع تشبيها بالفاعل » (٣) .

وسرى هذا القول الى المحدثين ، فذكروه على أنه من المسلّمات ، وذكروا أيضا أن الكوفيين لايقسمون الأفعال على ناقصة وتامة وانما الأفعال كلها تامة عندهم وأن المرفوع بعدها فاعل لها ، وأن المنصوب حال .

---

(١) ينظر الانصاف ٢/٤٤١ ، الرضي علىالكافية٢/٢٧٤، التصريح ١/١٨٤،

(١) ينظر الانصاف/٤٤١ ، الرضي على الكافية ٢/٢٧٤ ، التصريح ١/١٨٤ ، الهمع ١/١١٠ ، حاشية الصبان ١/٢٢٦ .

(٢) ينظر التصريح ١/١٨٤ ، حاشية الصبان ١/٢٢٦ .

(٣) التصريح ١/١٨٤ وينظر الهمع ١/١١١ ، الاشموني ١/٢٢٦ ، المساعد لابن عقيل ١/٢٤٨ .

جاء في (تيسير النحو التعليمي) : «أما (باب كان وأخواتها) فقد أراح الناشئة منه الكوفيون ، اذ أعربوا «كان وأخواتها» مثل (أمسى ، وأصبح، وما زال» أفعالا تامة لا ناقصة ، وما بعدها فواعل ، والمنصوبات أحوالا»[٤].

وجاء فيه أيضا : « ولم أعقد مبحثا لـ « كان واخواتها » يعني في كتاب (تجديد النحو) له ـ اذ أخذت فيها برأي الكوفيين القائل : ان المرفوع بعدها فاعل ، والمنصوب حال» [٥] .

وكرر هذا المعنى في مكان آخر فقال : «ورأي الكوفيين أدق من الوجهة العلمية الخالصة ، لأن قاعدة «كان» عندهم مطردة فهي دائما تامة ، ويليها فاعل مرفوع . وقد يليها منصوب ، وحينئذ يعرب حالا ، وبذلك لاتوزع بين تامة وناقصة» [٦] .

ومن الواضح أن ما ذكره الأستاذ شوقي ضيف من أن المرفوع بعدها فاعل عندهم ، مغاير لما نقلناه عن النحاة من أن المرفوع بعدها انما هو مرفوع بما كان مرفوعاً به قبل دخولها أي : أنه لايزال مبتدأ عندهم ، ولذلك سأل الصبان عن خبر هذا المرفوع ، فقال : « وعلى مذهبهم ـ يعني الكوفيين ـ أين خبر المرفوع ؟ وهل يقال سدت الحال مسده ؟ » [٧] .

وذكر الرد على مذهبهم ، فقال : «وردّ مذهبهم بأنه يلزم عليه أن الفعل ناصب غير رافع ، ولا نظير له »[٨] .

وجاء في (حاشية الخضري على شرح ابن عقيل) : «لو لم تعمل الا في

---

(٤) تيسير النحو التعليمي ٥٠ .
(٥) م . ن ٦٩ وانظر المباحث اللغوية في العراق ١١/١٢ ، تجديد النحو ١١ ، ١٢ .
(٦) تيسير النحو التعليمي ٩١ .
(٧) حاشية الصبان ١/٢٢٦ .
(٨) م . ن ١/٢٢٦ .

الخبر كما عند الكوفيين ، لكانت ناصبة غير رافعة ، ولم يعهد فعل كذلك ، وتسميته حينئذ مبتدأ انما هو باعتبار ماكان »[٩] .

غير أنه جاء في (الموفي في النحو الكوفي) في الكلام على الحال قوله : « ولا يكون معرفة الا اذا كان صاحب فاعل النواقص ، أو تضمنت معنى الشرط »[١٠] .

وجاء فيه في تعريف الفاعل : « الفاعل ما أسند اليه الفعل ، أو شبهه ، نحو : كان زيد عالماً »[١١] .

والظاهر من النصين أن المرفوع فاعل عندهم ، وهو مخالف لما نقلناه آنفاً .

مما مر يتبين أن خلاصة ما مر من رأي الكوفيين في الأفعال الناقصة :

١ ــ أن الكوفيين لايقسمون الأفعال على ناقصة وتامة ، بل إنها كلها تامة عندهم كما ذكر الدكتور شوقي ضيف .

٢ ــ أن المنصوب بعدها حال عندهم ، وشبيه بالحال عند الفراء .

٣ ــ أن المرفوع بعدها باق على رفعه الأول قبل دخول كان .

٤ ــ أن المرفوع بعدها فاعل كما ذكر الدكتور شوقي ضيف وغيره .

هذا خلاصة ماقيل في رأي الكوفيين عن الأفعال الناقصة .

وأود أن أقول ابتداء : إن ثمة اضطراباً فيما ينقله النحاة عن الكوفيين في هذا الشأن .

فقد نقل نحاة آخرون عن الكوفيين أنهم يقولون بما يقول به البصريون

(٩) حاشية الخضري ١/١١٠ .
(١٠) الموفي في النحو الكوفي ٣٨ .
(١١) م . ن ١٨ .

من أن : « كان وأخواتها » ، ترفع المبتدأ اسماً لها ، وتنصب الخبر خبراً ؛ وأنهم زادوا أفعالا أخرى تعمل هذا العمل على مايقول به البصريون ، فقد جاء في (شرح جمل الزجاجي) لابن عصفور في (بـاب الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر) : أن الكوفيين زادوا (مَرَّ) على الأفعال الناقصة ، اذا لم يريدوا بـ (المرور) انتقال الخطاء وجعلوه نظير (كان)،[١٢] وذكر أنهم زادوا ألفاظا أخرى غير (مَرَّ) [١٣] .

وذكر ذلك قبله ابن السراج في كتاب (الأصول) فقد ذكر أن الكوفيين يجعلون (مر) على قسمين : ناقصا وتاما . فالناقص ينصبون بـه الخبر نظير (كان) . جاء في الأصول : «تقول : (مررت بزيد واقفا) فتنصب (واقفا) على الحال والكوفيون يجيزون نصبه على الخبر ، يجعلونه كنصب خبر كان وخبر الظن . ويجيزون فيه ادخال الألف واللام ، ويكون (مررت) عندهم على ضربين: «مررت بزيد» فتكون تامة ، و«مررت بزيد أخاك» فتكون ناقصة ، ان أسقطت الأخ كنقصان (كان) اذا قلت : «كان زيد أخاك» ثم أسقطت (الاخ) كان ناقصا، حتى تجيء به . وهذا الذي أجازوه غير معروف عندي من كلام العرب ولا موجود فيما يوجبه القياس» [١٤] .

وهذا صريح في أن الكوفيين يقسمون الأفعال على قسمين : ناقصة وتامة ، وأن المنصوب بـ (كان) خبر ، لاحال .

وجاء في (حاشية الخضري على شرح ابن عقيل) في قوله تعالى : (وان كان ذو عسرة ـ البقرة٢٨٠) : «جوز الكوفي نقصها على حذف الخبر، أي من غرمائكم . ويرده أن الخبر لايحذف في هذا الباب» [١٥] .

(١٢) شرح جمل الزجاجي ٣٧٦/١ .
(١٣) م . ن ٣٧٧/١ .
(١٤) الاصول ٢٦٧/١ .
(١٥) حاشية الخضري ١١٤/١ .

فأنت ترى تضاربا واضحا في النقل عن الكوفيين •

ثم ان الذين نقلوا عن الكوفيين أن المنصوب بعد هذه الأفعال حال ، مضطربون في النقل أيضا ، فهم يصرحون في مواضع من كتبهم أن المنصوب عندهم هو خبر لاحال • فقد جاء في (الهمع) و (شرح الأشموني) و(التصريح) وغيرها، فيما يتعلق بخبر كان الواقعة مع لام الجحود، وذلك نحو قوله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ـ الأنفال ٣٣) : أن الكوفيين يذهبون الى أن خبر كان هو الفعل الواقع بعد اللام ، وأن اللام زائدة ، وأن البصريين يذهبون الى أن خبر كان محذوف ، تقديره مريدا ، أو هامّاً ، ونحو ذلك• جاء في (الأشموني) : « اختلف في الفعل الواقع بعد اللام ، فذهب الكوفيون الى أنه خبر كان واللام للتوكيد ، وذهب البصريون الى أن الخبر محذوف واللام متعلقة بذلك الخبر المحذوف »(١٦) •

فقد صرحوا أن المنصوب بعد (كان) خبر •

وجاء في (الهمع) أن الكوفيين يذهبون الى أن (هذا) و (هذه) اذا أريد بهما التقريب ، كانا من أخوات (كان) ، وكان لهما اسم وخبر ، مثل (كان) في حين مر بنا فيه : أن الكوفيين يجعلون منصوب كان حالا وأن الاسم المرفوع انما هو مرفوع بما كان مرفوعا به قبل دخولها •

جاء في (الهمع) : «وذهب الكوفيون الى أن هذا وهذه ، اذا أريد بهما التقريب كانا من أخوات (كان) في احتياجهما الى اسم مرفوع وخبر منصوب نحو : (كيف أخاف الظلم ، وهذا الخليفة قادماً) ، و (كيف أخاف البرد ، وهذه الشمس طالعة ؟) ••• فيعربون (هذا) تقريبا ، والمرفوع اسم التقريب ، والمنصوب خبر التقريب ؛ لأن المعنى انما هو على الاخبار عن الخليفة

(١٦) الأشموني ٢٩٢/٣ ـ ٢٩٣ وانظر الهمع ٨/٢ والتصريح ٢٣٥/٢ وحاشية الخضري ١١٣/٢ .

بالقدوم ، وعن الشمس بالطلوع ... وتبين أن المرفوع بعد اسم الاشارة يخبر عنه بالمنصوب ، لأنك لو أسقطت الاشارة ، لم يختلّ المعنى ، كما لو أسقطت (كان) من : كان زيد قائماً »[١٦] .

هذا ماجاء في كتب النحو في موقف الكوفيين من الأفعال الناقصة ، فما الحقيقة بازاء هذه الأقوال المتضاربة ؟ .

ان حقيقة موقف الكوفيين من الأفعال الناقصة ، هي أنهم لايختلفون عن البصريين ، وأنهم يقولون بكل ما يقوله البصريون ، بل انهم يذهبون في ذلك أبعد منهم . فهم يقسمون الأفعال على تامة وناقصة ، والناقصة ترفع الاسم ويسمى اسمها ، وتنصب الخبر ويسمى خبرها ، ويضيفون الى الأفعال الناقصة ألفاظاً أخرى تعمل عملها ، وان الأفعال الناقصة لاتقتصر على كان وأخواتها ، بل يدخلون معها (ظن وأخواتها) أيضاً .

وهذا موقف النحاة الكوفيين على وجه العموم ، وليس موقفا خاصاً بأحدهم . جاء في (معاني القرآن) للفراء في قوله تعالى: (وآخرون مُرْجَوْن لأمر الله إما يعذبهم واما يتوب عليهم ـ التوبة ١٠٦) : «ولو جعلت (ان) في مذهب (كي) ، وصيّرتها صلة لـ (مرجون) يريد أرجئوا أن يعذب أو يتاب عليهم ، صلح ذلك في كل فعل تام ، ولايصلح في كان وأخواتها ، ولا في ظننت وأخواتها »[١٨] .

فقد فرق بين الفعل التام والناقص في الحكم .

وجاء فيه في قوله تعالى :(وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ـ الحجر ٤) : «لو لم يكن فيه الواو ، كان صوابا ، كما قال في موضع آخر: (وما أهلكنامن قرية الا لها منذرون) ، وهو كما تقول في الكلام «ما رأيت

(١٧) الهمع ١/١١٣ .
(١٨) معاني القرآن ١/٣٨٩ .

احداً الا وعليه ثياب»،وان شئت : الا عليه ثياب...فان كان الذي وقع على النكرة ناقصا ، فلا يكون الا بطرح الواو. من ذلك «ما أظن درهما إلا كافيك»، ولا يجوز «الا وهو كافيك» ؛ لأن الظن يحتاج الى شيئين ، فلا تعترض بالواو ، فيصير الظن كالمكتفي من الأفعال باسم واحد . وكذلك أخوات (ظننت) و (كان) وأشباهها و (ان واخواتها) ... فأما أصبح وأمسى ورأيت ، فان الواو فهي أسهل ؛ لأنهن توامّ ، يعني تامات في حال. و (كان) و (ليس) و(أظن) بنين على النقص» [١٩] .

وانظر الى الفقرة الأخيرة من قوله «فأما أصبح وأمسى ...» ،فقد ذكر أن أصبح وأمسى ورأى ، تكون تامة وناقصة . وأما كان وليس وأظن ، فقد بنين على النقص .

وجاء في (معاني القرآن) قوله : «وقد تقوله العرب في ظننت وأخواتها من : رأيت وعلمت وحسبت ، فيقولون : أظنني قائما ، ووجدتني صالحا ، لنقصانهما وحاجتهما الى خبر سوى الاسم» [٢٠] .

فقد جعل ظن وأخواتها أفعالا ناقصة وهي محتاجة الى اسم وخبر .

ونقل عنه ثعلب ذلك في مجالسه ، فقال : «الفراء يقول : لدن غدوة ، ينصب ويرفع ويخفض . فتأويل الرفع لدن كان غدوة وينصب بخبر كان» [٢١] .

فانظر كيف سمى المنصوب خبر كان ؟

وجاء في (معاني القرآن) : «وكل موضع صلحت فيه فعل ويفعل من المنصوب ، جاز نصب المعرفة منه والنكرة ، كما تنصب كان وأظن ؛ لأنهن نواقص في المعنى ، وان ظننت أنهن تامات» [٢٢] .

---

(١٩) معاني القرآن ٢/٨٣ — ٨٤ .
(٢٠) م . ن ٢/١٠٦ .
(٢١) مجالس ثعلب ١/١٦٠ .
(٢٢) معاني القرآن ١/٢٨١ .

فانظر كيف قال في كان وظن انهن نواقص في المعنى ، وان ظننت أنهن تامات .

ويرى الفراء أن (كان) هي التي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر ، فقد جاء في (معاني القرآن) في كلامه على التقريب : «ومثله (والله غفور رحيم) فاذا ادخلت عليه (كان) ارتفع بها »[٢٣] .

وقال أيضا ان « بنية (كان) على أن يكون لها مرفوع ومنصوب»[٢٤] .

وجاء فيه أيضا في قوله تعالى (أكان للناس عجباً أن أوحينا ـ يونس٢): « نصبت (عجباً) بكان ومرفوعا (أن أوحينا) » [٢٥] .

وجاء فيه أيضا في قوله تعالى (ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوءى ـ الروم/١٠) : «تنصب العاقبة بكان، وتجعل مرفوع كان في السوءى»[٢٦] .

فجعل لكان مرفوعا ومنصوبا . ونقل أبو بكر ابن الأنباري ، وهو من مشاهير النحاة الكوفيين ، عنه ذلك ، فقال : «وقال الفراء : مابرح وما زال وما فتيء ، بمنزلة ماكان ، يرفعن الأسماء ، وينصبن الأخبار » [٢٧] .

فقد ذكر أنهن يرفعن الأسماء ، وسمى المرفوع اسماً ، والمنصوب خبراً ، وهو عين قول البصريين .

تبين مما مر أن الفراء في كتابه (معاني القرآن) وفيما ينقل عنه النحاة الكوفيون في كتبهم يقول بما يقول به البصريون من تقسيم الأفعال على تامة وناقصة ، وأن الناقصة وهي كان واخواتها وظن وأخواتها ، ترفع الاسم اسماً لها ، وتنصب الخبر خبراً لها .

---

(٢٣) معاني القرآن ١/١٣ .
(٢٤) م . ن ١/١٨٦ .
(٢٥) م . ن ١/٤٥٧ .
(٢٦) م . ن ٢/٣٢٢ .
(٢٧) شرح القصائد السبع الطوال ٣١٥ .

ولا يقتصر القول بهذا على الفراء وحده ، بل يقوله غيره من النحاة الكوفيين فقد جاء في (مجالس ثعلب) : «قال الكسائي : سمعت العرب تقول : « هذا زيد إياه بعينه » ، فجعله مثل (كان) . وقالوا : تربع ابن جؤية في اللحن حين قرأ (هؤلاء بناتي هن أطهرَ لكم) ، وجعلوه حالاً يعني (أطهر) ، وليس هو كما قالوا . هو خبر لـ (هذا) كما كان في (كان) »[٢٨] .

فذكر رأي الكسائي أنه يجعل (هذا) بمنزلة (كان) تنصب الخبر كما تنصبه (كان) ، وهذا رأي ثعلب أيضا كما هو واضح .

وجاء في (شرح القصائد السبع الطوال) لأبي بكر ابن الأنباري : أن الكسائي ، قال : «اذا كان خبر (كان) مؤنثاً واسمها مذكراً وأوليتها الخبر فمن العرب من يؤنث (كان) ، ويتوهم ان الاسم مؤنث اذا كان الخبر مؤنثاً»[٢٩] .

فانظر كيف يسمي الكسائي المرفوع والمنصوب بعد (كان) بأنه اسمها وخبرها ، كما ينقله النحاة الكوفيون .

وجاء في (شرح القصائد السبع الطوال) في قول الشاعر :

وقاهم جدهم ببني أبيهم   وبالأشقَين ما كان العقاب

« ومعنى البيت : وبالأشقين كان العقاب . العقاب اسم كان ، والباء خبر كان . و (ما) صلة دخلت لتوكيد الكلام »[٣٠] .

وجاء فيه أيضا في قول الشاعر :

وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

« التاء اسم الكون . وخبر الكون ما عاد من التاء التي في : أزمعت »[٣١] .

(٢٨) مجالس ثعلب ٤٣/١ .
(٢٩) شرح القصائد السبع الطوال ٥٥١ .
(٣٠) م . ن ٦
(٣١) م . ن ٤٤ .

وجاء فيه في قوله :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة

« والذي في (تكن) اسم الكون . و (عند) خبر الكون »[٣٢] .

وجاء فيه في قوله :

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

« والعذارى : موضعهن رفع بظل ... وخبر (ظل) ما عاد من (يرتمين) من ذكر العذارى »[٣٣] .

فقد جعل (العذارى) مرتفعاً بـ (ظل) ، لا بما كان مرفوعاً به قبل دخولها . ونحو ذلك ماجاء فيه في قوله :

ويُضحي فتيت المسك فوق فراشها

« والفتيت يرتفع بيضحي ، وفوق فراشها خبر يضحي »[٣٤] .

فقد صرح أن ارتفاع الاسم بالفعل (يضحي) ، لا بما كان مرفوعاً به .

ونحوه ماجاء في قوله :

وليس فؤادي عن هواك بمنسلي

قال : « وفؤادي مرتفع بليس ، وبمنسل خبر ليس »[٣٥] .

وهو نظير ما مر .

ونحوه ما جاء فيه أيضاً في قوله :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي

فقد قال : «وموضع التشراب رفع بزال ، و (الى) خبر زال»[٣٦] .

---

(٣٢) م . ن ٤٥ .
(٣٣) م . ن ٣٥
(٣٤) م . ن ٦٦ .
(٣٥) م . ن ٧٣ .
(٣٦) شرح القصائد السبع الطوال ١٩١ - ١٩٢ .

ولم يقتصر في ذلك على كان وأخواتها ، بل جعل ظن واخواتها نظيرة كان في حاجتها الى اسم وخبر ، شأن بقية النحاة الكوفيين . فقد جاء في (شرح القصائد السبع الطوال) في قول الشاعر :

وجاشت اليه النفس خوفاً وخاله

مصاباً ، ولو أمسى على غير مرصد

قوله : «والهاء اسم خال ، ومصابا خبره »(٣٧) .

وقال فيه أيضا : «وحدثتم وانبئتم مشبه بظننتم تنصب الاسم والخبر »(٣٨) .

وذكر في مكان آخر اسم (أرى) وخبرها (٣٩) وغير ذلك كثير .

تبين مما مر أن ابا بكر ابن الأنباري يضع خطواته على آثار من تقدمه من الكوفيين ، ويقول بقولهم في النقص والتمام ، وهم في ذلك لايختلفون عن البصريين .

ومثل ذلك ما ورد في تفسير الطبري ، والطبري نحوي كوفي ، بل هو من حذاق الكوفيين كما قال أبو العباس ثعلب (٤٠) .

فهو يعرب ويوجه ما ورد من (كان وأخواتها) و (ظن وأخواتها) على نحو ما مر من أقوال الكوفيين ، فهو يرى أن كان وأخواتها أفعال ناقصة ترفع المبتدأ وتنصب الخبر ، وأن ظن وأخواتها أفعال ناقصة أيضا تطلب اسما وخبرا منصوبين . وانظر على سبيل المثال قوله في قوله تعالى :

(وما كان قولهم إلا أن قالوا) (٤١)

---

(٣٧) م ٠ ن ١٨٣ .

(٣٨) م ٠ ن ٤٧٠ .

(٣٩) م ٠ ن ٢٠٠ .

(٤٠) انظر معجم الادباء ٤٣٨/٦ ورسالة (الطبري النحوي من خلال تفسيره) ٣٠٣ .

(٤١) جامع البيان ٧٩/٤ .

وقوله في قوله تعالى : (وإن كان ذو عسرة) (٤٢)

وقوله في قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم) (٤٣) .

وقوله في قوله تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا)(٤٤) وغير ذلك كثير .

يتبين مما مر أن الكوفيين يقولون بما يقول به البصريون ، بل انهم يذهبون أبعد منهم في ذلك ، فيدخلون (ظن وأخواتها) في الأفعال الناقصة ، ويدخلون الفاظا أخرى علاوة على ذلك . وعلى هذا يسقط الادعاء القائل بأن الكوفيين يختلفون عن البصريين في موقفهم من الأفعال الناقصة ، وان الأفعال عندهم كلها تامة ، وان المرفوع فاعل لها ، او مرفوع بما كان مرفوعا به قبل دخولها ، وان الاسم المنصوب حال لاخبر ، واتضح بما لايقبل الشك أن عامة الكوفيين ابتداء من الكسائي فالفراء فمن بعدهما يقولون بما يقول به البصريون ، بل ان مصطلح النقص والتمام والأفعال الناقصة والتامة لم يرد في كتاب سيبويه(٤٥) ، بل ولا في كتاب (المقتضب) للمبرد ، في حين ورد بكثرة في كتاب (معاني القرآن) للفراء وكتب الكوفيين بعده ، فكيف يقال ان هذا المصطلح مصطلح بصري ولم يقل به الكوفيون ؟

* * *

(٤٢) م . ن ٧٢/٣ .
(٤٣) م . ن ١٢٦/٤ .
(٤٤) جامع البيان ٢٠/١٠ .
(٤٥) انظر كتاب (النواسخ في كتاب سيبويه) ٢٥ .